حرف العين

ظعن الذين فراقهم أتوقع

أغارت طيّئ على بني عبس، والناس خلوف، وعنترة في ناحية من إبله على فرس له، فأخبر، فكر وحده واستنقذ الغنيمة من أيديهم وأصاب رهطاً، ثلاثة أو أربعة. وكان عنترة في بني عامر حينئذٍ، فجلس يوماً مع شاب منهم فأسمعوه شيئاً كرهه. وكان في قبيلة من بني الجريش يقال لهم بنو شكل، فقال في ذلك:

[الكامل]

ظَعَنَ الذينَ فراقَهُمْ أتَوَقّعُ
وَجَرَى ببَيْنِهِمُ الغُرَابُ الأبْقَعُ[١]
حَرِقُ الجَنَاحِ كأنّ لحيَيْ رَأسِهِ
جَلَمانِ، بالأخْبارِ هَشّ مُولَعُ[٢]

(١)، (٢) ورد البيتان في: لسان العرب ١٣: ٦٣ مادة (بين) «والمباينة: المفارقة. وتباين القوم: تهاجروا. وغراب البين: هو الأبقع؛ قال عنترة: . . . الأبقع: الأسود يخالطه بياض. يبدأ الشاعر قصيدته بمطلع وجدانيّ لقد تحمّل القوم ورحلوا، وقوّة الحَدْس والأحوال المحيطة بهم تنبئ بأنهم سوف يرحلون، وقد حمل الغراب رمز الشؤم نبأ رحيلهم، ولا يكفي أنه نذير شؤم بل إنه مُشوّه؛ فجناحاه محروقان، وريشهما مقطّعان، ولحيا =

فَـــزَجَـــرْتُـــهُ ألّا يُـــفَـــرِّخَ عُـــشُّـــهُ
أبَـــداً وَيُـــصْـــبِـــحَ وَاحِـــداً يَـــتَـــفَـــجّـــعُ[١]
إنّ الـــذيـــنَ نَـــعَـــيْـــتَ لـــي بـــفِـــرَاقِـــهِـــمْ
هـــمْ أسْـــهَـــرُوا لَـــيْـــلـــي الـــتّـــمَـــامَ فـــأوْجـــعـــوا[٢]
وَمُـــغِـــيـــرَةٍ شَـــعْـــوَاءَ ذاتِ أشِـــلّـــةٍ،
فـــيـــهـــا الـــفَـــوَارِسُ: حـــاسِـــرٌ وَمُـــقَـــنَّـــعُ[٣]
فَـــزَجَـــرْتُـــهـــا عَـــنْ نِـــسْـــوَةٍ مِـــنْ عـــامِـــرٍ
أفْـــخَـــاذُهُـــنَ كـــأنّـــهُـــنَ الـــخَـــرْوَعُ[٤]

= رأسه مقروضان، ومن طبعه أنه لا يحبّ الخير لأحد، بل إنه مولع بتفريق الأحبّة».

(١) زجرته: نهرته. كان من ردّة الشاعر أن نهره بشدّة ودعا عليه ألّا يستمرّ وعقبه في الحياة؛ فتمنى له ألّا يُفرخ عشه، بل يبقى وحيداً يتألم، فلا أنيس ولا جليس ولا حبيب يُؤنس وحدته. ذلك أنه دائم الشؤم والفراق بين الأحبّة.

(٢) ثمّة رابط بين الشاعر وهؤلاء الذين أخبر الغراب بفِراقهم، إنه الحبّ، فقد كانوا سبباً مُوجعاً؛ فسهر الشاعر ليله متألماً لذلك.

(٣) المغيرة: الجماعة المغيرة فيها الخيل. شعواء: متفرّقة. الأشلة، واحدها شليل: الدروع الصغيرة يلبسها المحارب تحت الدروع الكبيرة مبالغة بالحرص، الحاسر: الكاشف الرأس بلا مغفر ولا بيضة. يصف الشاعر تلك الجماعة المغيرة، وقد تسربلت بالدروع، وبعضهم لم يستر رأسه بما يحمي نفسه دلالة الشجاعة، وبعضهم الآخر يتقنع زيادة في الاحتراس.

(٤) الخروع: شجر لين. كان من الشاعر أن حمل على المغيرين صائحاً مزمجراً مرعباً، ولذا فقد حامى عن أعراض النساء من بني عامر المرفّهات، وردّ المغيرين خائبين مهزومين.

وَعَــرَفْــتُ أنّ مَــنــيّــتــي إنْ تَــأتِــنــي،
لا يُــنْــجِــنــي مِــنْــهَــا الــفِــرَارُ الأسْــرَعُ[١]
فَــصَــبَــرْتُ عَــارِفَــةً لِــذَلِــكَ حُــرّةً
تَــرْسُــو إذا نَــفْــسُ الــجَــبَــانِ تَــطَــلَّــعُ[٢]

فلو لاقيتني وعليّ درعي

كان في إبل له يرعاها ومعه عبد له وفرس، فأغارت عليه بنو سليم، فقاتلهم حتى كسر رمحه، فتناول القوس فرمى رجلاً منهم من بجيلة. وطردوا إبله فذهبوا بها، وكان أصابها من بني سليم، وكان عنترة حاسراً.

[الوافر]

خُــذوا مــا أسْــأرَتْ مِــنْــهَــا قِــداحــي
وَرِفْــدُ الــضّــيْــفِ وَالأنَــسُ الــجَــمــيــعُ[٣]

(١) ورد البيت في: لسان العرب ٩: ٢٣٨ مادة (عرف) «ويقال: نزلت به مصيبة فوُجد صَبُوراً عَروفاً، قال الأزهري: ونفسه عارفة بالهاء مثله؛ قال عنترة: وَعَلِمْتُ...». فهم عنترة القضاء والقدر على حقيقتيهما؛ فلا مفرّ من الموت؛ فإذا ما توفرت أسبابه وزمانه ومكانه أدرك الإنسان، وتلك حقيقة لا مفرّ منها.

(٢) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١: ١٤٥، ٢١٣ / ٢: ٣٣٧، لسان العرب ٩: ٢٣٩ مادة (عرف) «ويقال: نزلت به مُصيبة فَوُجِد صَبُوراً عَروفاً؛ قال الأزهري: ونفسه عارفة بالهاء مثله؛ قال عنترة: . . .، ترسو: تثبت ولا تطلّع إلى الخلق كنفس الجبان، يقول: حَبَسْتُ نفساً عارفة أي صابرة».

(٣) أسأرت: أبقت. قداحي التي قامرت بها بالميسر. الأنس: البشر. يقول =